سلسلة الأعلام

المهاجرون

تأليف: محمد عبد الظاهر المطارقى

رسوم: محمد لطفى

جرافيك: محمد جمال



١١ شارع الطوبجى - بين السرايات - الجيزة

تليفاكس: ٧٤٩٣٦٨٥

Site : www.ynabeea.com


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم
مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن
يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا﴾

المهاجرون

الْهِجْرَةُ لَهَا مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ فِى الإِسْلامِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْهَا: لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ. يَعْنِي لَوْلا أَنَّنِي أَرْجُو الأَجْرَ بِالْهِجْرَةِ وَأَرْجُو الثَّوَابَ بِهَا لَتَسَمَّيْتُ بِأَنِّي مِنَ الأَنْصَارِ؛ وَذَلِكَ لِشَرَفِهِمْ، وَلَكِنَّهُ لا يُرِيدُ إِبْطَالَ أَجْرَهُ بِالْهِجْرَةِ الَّتِي هِيَ عَمَلٌ صَالِحٌ يَحْتَسِبُهُ عِنْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالْهِجْرَةُ تَعْنِى الانْتِقَالَ مِنْ بِلادِ الْكُفْرِ إِلَى بِلادِ الإِسْلامِ فِرَارًا بِالدِّينِ، وَالْمُهَاجِرُونَ هُمُ الَّذِينَ فَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَارَقُوا أَوْطَانَهُمْ نُصْرَةً لِدِينِ اللهِ وَفِرَارًا بِدِينِهِمْ.

وَالْمُهَاجِرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم هُمُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ فِى مَكَّةَ وَهَاجَرُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ فَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ وَبِلادَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَقَارِبَهُمْ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى دِينِهِمْ، فَصَارَتِ الْهِجْرَةُ عَمَلاً صَالِحًا، عَمَلاً مَبْرُورًا يُثَابُ عَلَيْهِ مَعَ الاحْتِسَابِ.
وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ مَنْ هَاجَرَ لأَجْلِ أَنْ يَفِرَّ بِدِينِهِ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَهُ عَلَى هَذِهِ الْهِجْرَةِ.

قَالَ تَعَالَى يُبَيِّنُ مَنْزِلَتَهُمْ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٠].

وَفِى هَذَا الْكِتَابِ سِيرَةٌ لِخَمْسَةٍ مِنْ أَبْطَالِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ تَرَكُوا وَرَاءَهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ، فَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ فُقَرَاءَ لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، فَلا بُيُوتَ وَلا أَمْوَالَ وَلا عَقَارَ وَلا ثِمَارَ، وَلَمْ يَدْفَعْهُمْ لِذَلِكَ كُلِّهِ إِلاَّ الإِيمَانُ بِهَذَا الدِّينِ وَاتِّبَاعِ هَذَا الرَّسُولِ ﷺ، فَضَحَّوْا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِكُلِّ شَيْءٍ.



مَعَ أَوَّلِ خَيْطٍ أَبْيَضَ يُبَشِّرُ بِالصَّبَاحِ، ابْتَدَأَ فِي التَّحَرُّكِ، السُّكُوْنُ يَلُفُّ مَكَّةَ، وَالنُّعَاسُ لا يَزَالُ يُهَيْمِنُ عَلَى بُيُوْتِهَا.

مَضَى حَذِرًا يَتَلَفَّتُ، وَقَدْ يَمَّمَ وَجْهَهُ شَطْرَ دَارِ " الأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الأَرْقَمِ"، وَبِسُرْعَةٍ وَخِفَّةٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصِلَ إِلَى هُنَاكَ،

فَوَجَدَ "عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ" يَقْتَرِبُ هُوَ الآخَرُ مِنَ البَابِ.. كَانَ يَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ. تَرَدَّدَ لَحْظَةً ثُمَّ دَنَا مِنْهُ، وَقَالَ: مَا تُرِيْدُ يَا عَمَّارُ؟

نَظَرَ إِلَيْهِ عَمَّارُ بِتَفَحُّصٍ يَتَأَمَّلُ مَلامِحَ وَجْهِهِ، ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ وَقَالَ لَهُ:

بَلْ مَا تُرِيْدُ أَنْتَ؟

لَيْسَ ثَمَّةَ وَقْتٌ، وَهُوَ يَعْرِفُ عَمَّارًا جَيِّدًا. أَوْمَأَ بِرَأْسِهِ نَحْوَ دَارِ الأَرْقَمِ، وَقَالَ فِي لَكْنَتِهِ الرُّوْمِيَّةِ المَعْرُوْفَةِ: أَرَدتُ أَنْ أَدْخُلَ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ، فَأَسْمَعُ مِنْهُ مَا يَقُوْلُ.

ابْتَسَمَ عَمَّارٌ وَهَزَّ رَأْسَهُ فِي اطْمِئْنَانٍ قَائِلاً:

وَأَنَا أُرِيْدُ ذَلِكَ أَيْضًا.

إِذَنْ نَدْخُلُ مَعًا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ.

دَخَلَ الرَّجُلانِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ وَرَاحَا يَسْتَمِعَانِ إِلَيْهِ فِي تَشَوُّقٍ، فَأَشْرَقَ نُوْرُ الإِيْمَانِ فِي صَدْرَيْهِمَا، وَتَسَابَقَا فِي مَدِّ أَيْدِيْهِمَا إِلَيْهِ، وَشَهِدَا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، ثُمَّ أَمْضَيَا سَحَابَةَ يَوْمِهِمَا عِنْدَهُ يَنْهَلانِ مِنْ هَدْيِهِ، وَيَنْعَمَانِ بِصُحْبَتِهِ.

وَلَمَّا أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَهَدَأَتِ الحَرَكَةُ خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلامِ، وَقَدْ حَمَلَ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنَ النُّوْرِ فِي صَدْرِهِ مَا يَكْفِي لإِضَاءَةِ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا.

كَانَتِ الدَّعْوَةُ لا تَزَالُ سِرًّا، بَيْدَ أَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ قَدِ اكْتَشَفُوا هَذَا الأَمْرَ، فَرَاحُوا بِكُلِّ ضَرَاوَةٍ يُنَكِّلُوْنَ بِالمُسْلِمِيْنَ الَّذِيْنَ اعْتَنَقُوا هَذَا الدِّيْنَ الجَدِيْدَ.

كَانَ صَنَادِيْدُ مَكَّةَ يَصُبُّونَ العَذَابَ فَوْقَ هَؤُلاءِ الضُّعَفَاءِ رَيْثَمَا يَعُوْدُوْنَ إِلَى مِلَّتِهِمْ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ، فَأَيُّ قُوَّةٍ تِلْكَ التِي تَسْتَطِيْعُ أَنْ تُحَرِّكَ تِلْكَ الجِبَالَ الرَّاسِيَاتِ. لَقَدْ تَمَكَّنَ الإِيْمَانُ مِنْ هَذِهِ القُلُوْبِ، فَصَارَتْ أَشَدَّ مِنَ جِبَالِ مَكَّةَ.

يَا لَلأَقْدَارِ، لَقَدْ كَانَ يَعِيْشُ مُتْرَفًا، أَمِيْرًا، نَبِيْلاً، يُخَيِّمُ عَلَى حَيَاتِهِ النَّعِيْمُ؛ فَقَدْ كَانَ أَبُوْهُ حَاكِمَ "الأُبُلَّة" وَعَامِلاً عَلَيْهَا لِكِسْرَى، وَكَانَ يَعِيْشُ مَعَهُ ابْنُهُ الصَّغِيْرُ فِي قَصْرِهِ المُنِيْفِ، الَّذِي يُطِلُّ عَلَى شَاطِئِ الفُرَاتِ، مِمَّا يَلِي الجَزِيْرَةَ وَالمَوْصِلَ. كَانَ أَبُوْهُ مِنْ بَنِي "نُمَيْرٍ"، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ بَنِي "تَمِيْم"، إِنَّهُ عَرَبِيٌّ حَتَّى النُّخَاعِ، عَرَبِيٌّ أَصِيْلٌ رَغْمَ صِغَرِ سِنِّهِ، وَرَغْمَ الأَحْدَاثِ السَّرِيْعَةِ المُتَتَابِعَةِ التِي أَدْمَتْ قَلْبَ وَالِدِهِ حِيْنَ تَعَرَّضَتِ البِلادُ لِهَجْمَةٍ رُوْمِيَّةٍ، أَسَرَتْ فلذة كَبِدِهِمْ، وَانْقَطَعَ خَبَرُهُ عَنْهُمْ.



وَفِي بِلادِ الرُّوْمِ ذَاقَ طَعْمَ الإِذْلالِ وَالعُبُوْدِيَّةِ، تَنَقَّلَ مِنْ سَيِّدٍ إِلَى آخَرَ، شَاهَدَ الظُّلْمَ بِعَيْنَي رَأْسِهِ وَهُوَ يَتَسَاقَطُ فَوْقَ رُؤوسِ النَّاسِ، تَمَنَّى الخَلاصَ وَالعَوْدَةَ إِلَى قَصْرِ أَبِيْهِ الّذِي كَانَ يُعِدُّهُ مُنْذُ نُعُوْمَةِ أَظْفَارِهِ لِكَي يُصْبِحَ حَاكِمًا عَلَى تِلْكَ البِلادِ، لَعَلَّهُ يَحْلُمُ، وَسَوْفَ يَصْحُو مِنْ نَوْمِهِ لِيَنْقَشِعَ هَذَا الكَابُوْسُ الأَحْمَقُ، فَيَعُوْدَ إِلَى شُرُفَاتِ قَصْرِهِ يُطِلُّ عَلَى السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ، وَيَتَأَمَّلُ الفُرَاتَ وَهُوَ يَتَحَرَّكُ أَمَامَهُ كَطِفْلٍ مُتَوَقِّدِ الحَرَكَةِ، لَكِنَّهَا الحَقِيْقَةُ المُرَّةُ، هَاهُوَ الوَاقِعُ بِكُلِّ قَسْوَتِهِ وَحِدَّتِهِ يَتَجَسَّدُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ لا مَفَرَّ.

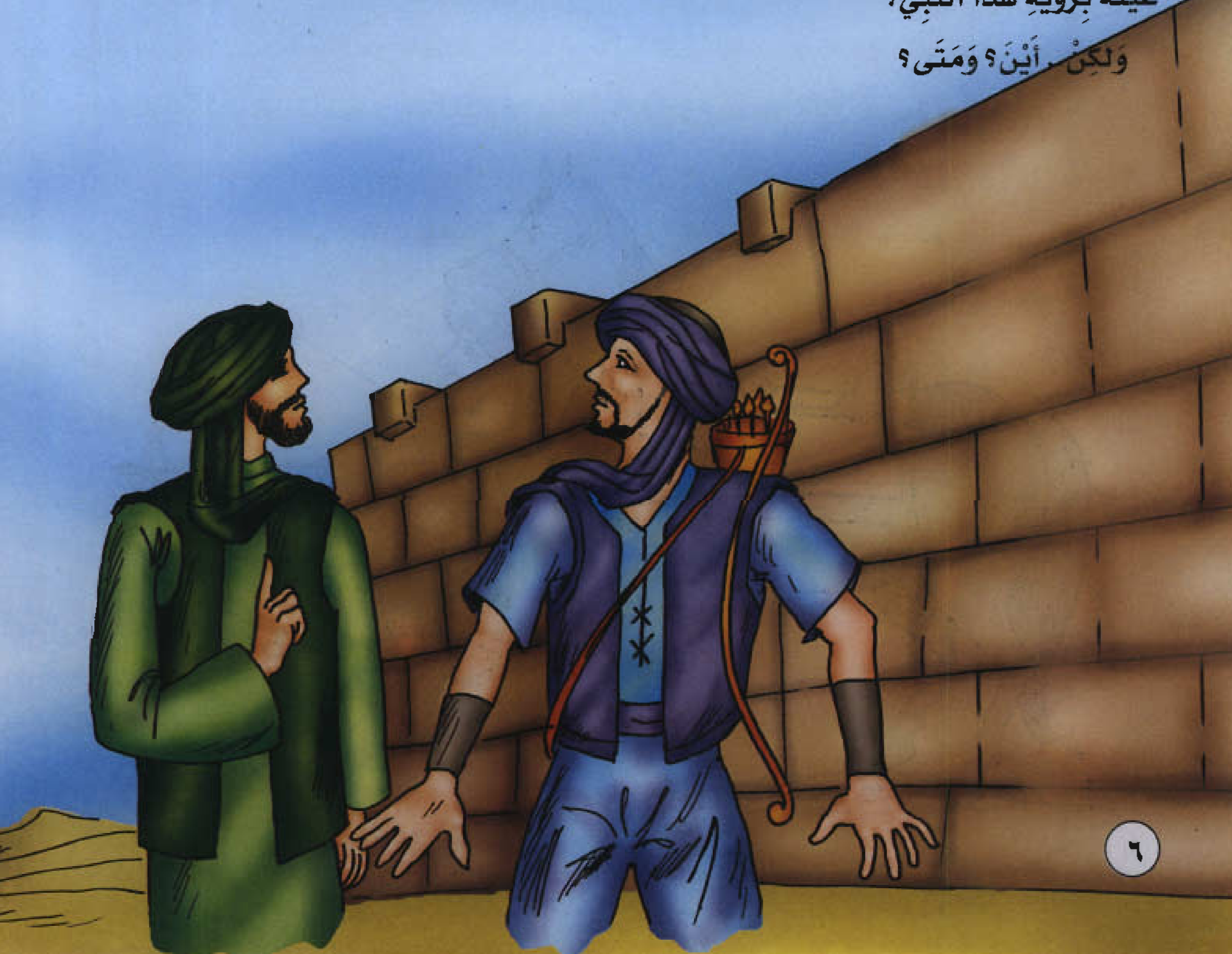
لَكِنَّ الكَلِمَاتِ الّتِي سَمِعَهَا مِنْ ذَلِكَ الكَاهِنِ النَّصْرَانِيِّ لا تَزَالُ تَتَرَدَّدُ فِي أُذنَيْهِ:

"لَقَدْ أَطَلَّ زَمَانٌ يَخْرُجُ فِيْهِ مِنْ مَكَّةَ فِي جَزِيْرَةِ العَرَبِ نَبِيٌّ يُصَدِّقُ بِرِسَالَةِ عِيْسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَيُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ".

نَعَمْ كَانَتِ الكَلِمَاتُ بِمَثَابَةِ البَلْسَمِ الشَّافِي، كُلَّمَا تَمَعَّنَ فِي الكَلِمَاتِ وَجَدَ جَسَدَهُ يَنْتَفِضُ.

إِنَّ إِحْسَاسًا غَرِيْبًا يُلامِسُ أَوْتَارَ قَلْبِهِ، هَلْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تَنْتَهِيَ هَذِهِ الأَيَّامُ الحَالِكَةُ، وَتَتَكَحَّلَ عَيْنُهُ بِرُؤْيَةِ هَذَا النَّبِيِّ؟

وَلَكِنْ.. أَيْنَ؟ وَمَتَى؟



وَتَمُرُّ الأَيَّامُ، وَيَتَخَلَّصُ مِنَ الأَسْرِ لِيَنْطَلِقَ نَحْوَ مَكَّةَ يَحْدُوْهُ الأَمَلُ فِي تَحْقِيْقِ حُلْمِهِ القَدِيْمِ.

اشْتُهِرَ فِي مَكَّةَ بِالرُّوْمِيِّ؛ لِهَيْئَتِهِ وَرِدَائِهِ وَلَكْنَتِهِ، فَقَدْ كَانَ أَحْمَرَ شَدِيْدَ الحُمْرَةِ، كَثِيْفَ شَعْرِ الرَّأْسِ، مُتَوَسِّطَ الطُّوْلِ، يُشْبِهُ كَلامُهُ أَوْلادَ الرُّوْمِ مِنْ طُوْلِ مُعَاشَرَتِهِ لَهُمْ، لَكِنَّهُ كَانَ يَرُدُّ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَيَقُوْلُ:

أَنَا لَسْتُ رُوْمِيًّا كَمَا تَظُنُّوْنَ، بَلْ أَنَا عَرَبِيٌّ بْنُ عَرَبِيٍّ، وَأُمِّي أَيْضًا عَرَبِيَّةٌ، أَنَا لا يُمْكِنُ أَنْ أَنْسَى جُذُوْرِي أَبَدًا.

فَلا يَسَعُهُمْ إِلا الضَّحِكَاتُ الصَّاخِبَةُ، وَإِصْرَارُهُمْ عَلَي أَنَّهُ "رُوْمِيٌّ".

كَانَ يَتَمَتَّعُ بِالذَّكَاءِ الشَّدِيْدِ، وَرَوْحِ الدُّعَابَةِ، فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَجْمَعَ ثَرْوَةً كَبِيْرَةً بِعَمَلِهِ فِي التِّجَارَةِ وَمُشَارَكَتِهِ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ جدْعَانَ، كَمَا اشْتُهِرَ بَيْنَ أَبْنَاءِ مَكَّةَ بِقُدْرَتِهِ الفَائِقَةِ عَلَى التَّصْوِيْبِ بِالنِّبَالِ، وَإِصَابَةِ الهَدَفِ مَهْمَا كَانَ بَعِيْدًا.

وَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَي المَدِيْنَةِ، حَاوَلَ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَدْ كَانَ أَحَدَ الَّذِيْنَ يُلاقُوْنَ الأَهْوَالَ مِنْ رُؤُوسِ الكُفْرِ بِمَكَّةَ، مَنَعُوْهُ، وَحَاصَرُوْهُ، بَلْ وَحَدَّدُوا إِقَامَتَهُ دَاخِلَ بَيْتِهِ، وَجَعَلُوا عَلَى بَابِهِ بَعْضَ الفِتْيَانِ يُمْسِكُوْنَ بِالسُّيُوْفِ، لَكِنَّ رُوْحَهُ تَهْفُو نَحْوَ حَبِيْبِهِ "مُحَمَّدٍ" ﷺ

فَحَاوَلَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْتَالَ عَلَيْهِمْ وَيَنْطَلِقَ فَوْقَ صَهْوَةِ جَوَادِهِ نَحْوَ المَدِيْنَةِ، لَكِنَّهُمْ اكْتَشَفُوا أَمْرَهُ، فَتَبِعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ حَتَّى اقْتَرَبُوا مِنْهُ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ وَانْتَشَلَ مَا فِي كِنَانَتِهِ، ثُمَّ زَمْجَرَ قَائِلاً: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْمَاكُمْ رَجُلاً، وَأَيْمُ اللهِ لا تَصِلُوْنَ إِلَيَّ حَتَّى أَرْمِي بِكُلِّ سَهْمٍ مَعِي فِي كِنَانَتِي، ثُمَّ أَضْرِبُ بِسَيْفِي مَا بَقِيَ فِي يَدِي مِنْهُ شَيءٌ، افْعَلُوا مَا شِئْتُم.

قَالُوا لَهُ: أَتَيْتَنَا صُعْلُوْكًا حَقِيْرًا، فَتَغَيَّرَ حَالُكَ.

قَالَ لَهُمْ: إِنْ شِئْتُمْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى مَالِي وَثِيَابِي بِمَكَّةَ وَخَلَّيْتُمْ سَبِيْلِي.

قَالُوا: نَعَمْ.

لَقَدْ مَلأَ نُوْرُ الإِيْمَانِ قَلْبَهُ، فَأَحَسَّ أَنَّ مَالَ الدُّنْيَا وَنَعِيْمَهَا كُلَّهُ لا يُسَاوِي شَيئًا بِجِوَارِ نَظْرَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى وَجْهِ حَبِيْبِهِ المُصْطَفَى ﷺ والاسْتِمَاعِ إِلَى كَلامِهِ العَذْبِ، فَأَعْطَاهُمْ كُلَّ مَا يَمْلِكُ، ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سُرْعَةِ البَرْقِ نَحْوَ المَدِيْنَةِ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ ابْتَسَمَ لَهُ قَائِلاً: "رَبِحَ البَيْعُ أَبَا يَحْي.. رَبِحَ البَيْعُ أَبَا يَحْي".



الأمير الشاب
أسـامـة بـن زيـد

كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ إِذَا لَقِيَهُ قَالَ لَهُ: مَرْحَبًا بِأَمِيْرِي.. فَإِذَا رَأَى أَحَدًا يَعْجَبُ مِنْهُ قَالَ: لَقَدْ أَمَّرَهُ عَلَيَّ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ.

خَرَجَتْ الأَنْبَاءُ إِلَى سَمَاءِ المَدِيْنَةِ، بِأَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ عَلَى فِرَاشِ المَرَضِ، يَجُوْدُ بِأَنْفَاسِهِ الطَّاهِرَةِ لِيَنْتَقِلَ إِلَى الرَّفِيْقِ الأَعْلَى، بَعْدَ أَنْ أَدَّى الأَمَانَةَ، وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ.

هُنَالِكَ وَصَلَ الخَبَرُ إِلَى ذَلِكَ القَائِدِ الشَّابِّ "أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ" رضي الله عنه الَّذِي أَمَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ لِلخُرُوْجِ إِلَى الشَّامِ، لِيَسْتَكْمِلَ المَلْحَمَةَ العَظِيْمَةَ، وَيُوَاصِلَ مَرَاحِلَ الجِهَادِ التِي بَدَأَتْ مُنْذُ مُؤْتَةَ.

وَيُعَدُّ هَذَا الصَّحَابِيُّ رضي الله عنه أَصْغَرَ قَائِدٍ ظَهَرَ فِي تَارِيْخِ الإِسْلامِ الأَوَّلِ؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَجَاوَزَ العِشْرِيْنَ بَعْدَ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُويَعْلَمُ مَدَى ذَكَائِهِ البَاهِرِ، وَقُدْرَاتِهِ الهَائِلَةِ.

وَقَدْ امْتَقَعَتْ بَعْضُ الوجُوْهِ، وَحَاوَلُوا الطَّعْنَ فِي إِمَارَتِهِ، إلا أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ أَخْرَسَ أَلْسِنَتَهُمْ، حِيْنَ ذَكَّرَهُمْ بِمَوْقِفِهِمْ السَّابِقْ مِنْ أَبِيْهِ، فَقَدْ رَفَضُوا إِمْرَةَ وَالِدِهِ مِنْ قَبْل، حِيْنَ أَمَّرَهُ الرَّسُوْلُ ﷺ عَلَى جَيْشٍ مِنْ ثَلاثَةِ آلافٍ، وَدَفَعَ بِهِمْ نَحْو الشَّامِ، حَيْثُ مَوْقِعَةِ مُؤْتَةَ الشَّهِيْرَةِ، والتِي اسْتُشْهِدَ فِيْهَا وَالِدُهُ وَآخَرُوْنَ، فَقَالَ ﷺ: (إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيْهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَيْمُ اللهِ، لَقَدْ كَانَ خَلِيْقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ).

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَهْدُفُ مِنْ وَرَاءِ تِلْكَ الغَزْوَةِ إِلَى عِدَّةِ أُمُوْرٍ:

أَنْ يَتَعَرَّفَ المُسْلِمُونَ عَلَى تِلْكَ الأَرَاضِي المُتَاخِمَةِ لِلْجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ، وَهِيَ مَا تُعْرَفُ بِبِلادِ الشَّامِ، هِي بِلادٌ عَرَبِيَّةٌ تَقَعُ تَحْتَ وَطْأَةِ الاحْتِلالِ الرُّومَانِيِّ.

فَكُّ أَسْرِ بَيْتِ المَقْدِسِ- أُوْلَى القِبْلَتَيْنِ وَثَالِثِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، وَمَسْرَى رَسُوْلِ اللهِ فِي رِحْلَتِهِ الشَّهِيْرَةِ "الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ".

مُلاقَاةُ المُسْلِمِينَ بإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ، والتَّعَرُّفُ عَلَى مَدَى مُعَانَاتِهِمْ والارْتِبَاطِ بِهِمْ؛ لِيَكُوْنُوا جَمِيْعًا عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ضِدَّ المُحْتَلِّ الغَازِي.

الثَّأْرُ لِمَقْتَلِ الصَّحَابِيِّ الَّذِي أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِكِتَابٍ إِلَى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّوْمِ، فَقَتَلَهُ أَحَدُ عُمَّالِهِ، وَهَذِهِ تُعَدُّ جَرِيْمَةً نَكْرَاءَ؛ لأَنَّ الرُّسُلَ لا يُقْتَلُوْنَ.

تَثْبِيْتُ أَرْكَانِ الإِسْلامِ فِي قُلُوْبِ بَعْضِ المتَوَجِّسِيْنَ وَالمُتَشَكِّكِيْنَ وَمَرْضَى القُلُوْبِ مِمَّنْ دَخَلُوا فِي الإِسْلامِ حَدِيْثًا مِنْ أَبْنَاءِ الأَعْرَابِ وَالقَبَائِلِ المنْتَشِرَةِ فِي مُعْظَمِ أَرْجَاءِ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ.

وَخَرَجَ الجَيْشُ بِالفِعْلِ يَقُوْدُهُ هَذَا القَائِدُ الصَّغِيْرُ. وَمَا كَادَ يَبْتَعِدُ عَنِ المدِيْنَةِ بِمَسَافَةٍ تَصِلُ إِلَى عِشْرِيْنَ مِيْلاً حَتَّى تَوَقَّفَ مَكَانَهُ وَانْتَظَرَ، حَيْثُ وَصَلَتْهُ الأَنْبَاءُ بِأَنَّ رَسُوْلَ اللهِ فِي فِرَاشِهِ يَجُوْدُ بِأَنفَاسِهِ، وَهُو الآنَ فِي النَّزْعِ الأَخِيْرِ، فَلا بُدَّ مِنَ الانْتِظَارِ، وانْتَظَرَ الجَيْشُ، وَمَاتَ رَسُوْلُ اللهِ، وَصَعَدَتْ رُوْحُهُ الطَّاهِرَةُ إِلَى بَارِئِهَا.



آلَ الأَمْرُ إِلَى خَلِيْفَتِهِ "أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ" ﷺ والّذِي تَوَلَّى الأَمْرَ فِي ظُرُوْفٍ قَاسِيَةٍ وَمُؤْلِمَةٍ؛ فَهُنَاكَ الكَثِيْرُ مِنَ البِلادِ الإِسْلامِيَّةِ قَدِ ارْتَدَّتْ عَنْ دِيْنِ اللهِ، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ مَنْ رَفَضَ دَفْعَ الزَّكَاةِ بِحُجَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ تُعْطَى لِمَنْ كَانَتْ صَلاتُهُ سَكَنًا لَهُمْ، وَهَا هُو قَدْ ذَهَبَ إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ، فَلَيْسَ لأَحَدٍ الحقُّ فِي نَيْلِ الزَّكَاةِ، فَضْلاً عَنْ مَنِ ادّعَوا النّبُوَّةَ، وَزَعَمُوا أَنَّ الوَحْيَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ كَمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ووَجَدَ هَؤلاءِ مَنْ يُؤَيِّدُ دَعْوَتَهَمْ وَيَسِيْرُ فِي رِكَابِهِمْ، إِمَّا تَعَصُّبًا، وَإِمَّا جَهْلاً، وَإِمَّا طَمَعًا فِي مَكَاسِبَ تَافِهَةٍ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ.

تَشَاوَرَ المسْلِمُوْنَ بِالمَدِيْنَةِ، فَفَرِيقٌ رَفَضَ بَعْثَ الجَيْشِ الّذِي يَقُوْدُهُ هَذَا الصّحَابِيُّ ﷺ فَإِنّ المصْلَحَةَ الأُوْلَى وَالأَهَمَ هِيَ القَضَاءُ عَلَى تِلْكَ الفِتَنِ التِي تَنَامَتْ بِسُرْعَةٍ فِي أَنْحَاءِ الجَزِيْرَةِ، وَلِيَتِمَّ التَّأْجِيْلُ حَتّي تَسْتَقِرَّ الأُمُوْرُ، وَيَتِمَّ وَأْدُ الفِتْنَةِ.

وَفرِيقٌ يَرْفُضُ أَنْ يَكُوْنَ هَذَا الشَّابُّ الصَّغِيْرُ هُو الأَمِيْرَ، وَلْيَخْرُجِ الجَيْشُ إِلَى هَدَفِهِ المَنْشُوْدِ تَحْتَ قِيَادَةٍ كَبِيْرَةٍ نَاضِجَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ، أَقْنَعَ هَؤُلاءِ الصَّحَابِيَّ الجَلِيْلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ بِوِجْهَةِ نَظَرِهِمْ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ لِيَتَحَدَّثَ إِلَى خَلِيْفَةِ المُسْلِمِيْنَ بِاسْمِهِمْ، وَيَعْمَلَ عَلَى إِقْنَاعِهِ؛ فَإِنَّ أَبَابَكْرٍ يُجِلُّهُ، وَيُقَدِّرُهُ، وَيَعْرِفُ مَكَانَتَهُ جَيِّدًا.

أَمَّا الفَرِيْقُ الثَّالِثُ فَمَثَّلَهُ الخَلِيْفَةُ أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقِ نَفْسُهُ، والّذِي رَفَضَ إِلا أَنْ يَبْعَثَ الجَيْشَ كَمَا أَمَرَ بِذَلِكَ رَسُوْلُ اللهِ، بَلْ إِنَّهُ وَثَبَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ وَشَدَّ لِحْيَتَهُ فِي غَضَبٍ قَائِلاً لَهُ: ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا بْنَ الخَطَّابِ، أَيُوَلِّيْهِ رَسُوْلُ اللهِ عَلَى الجَيْشِ، وَأَنْزِعُهُ أَنَا.

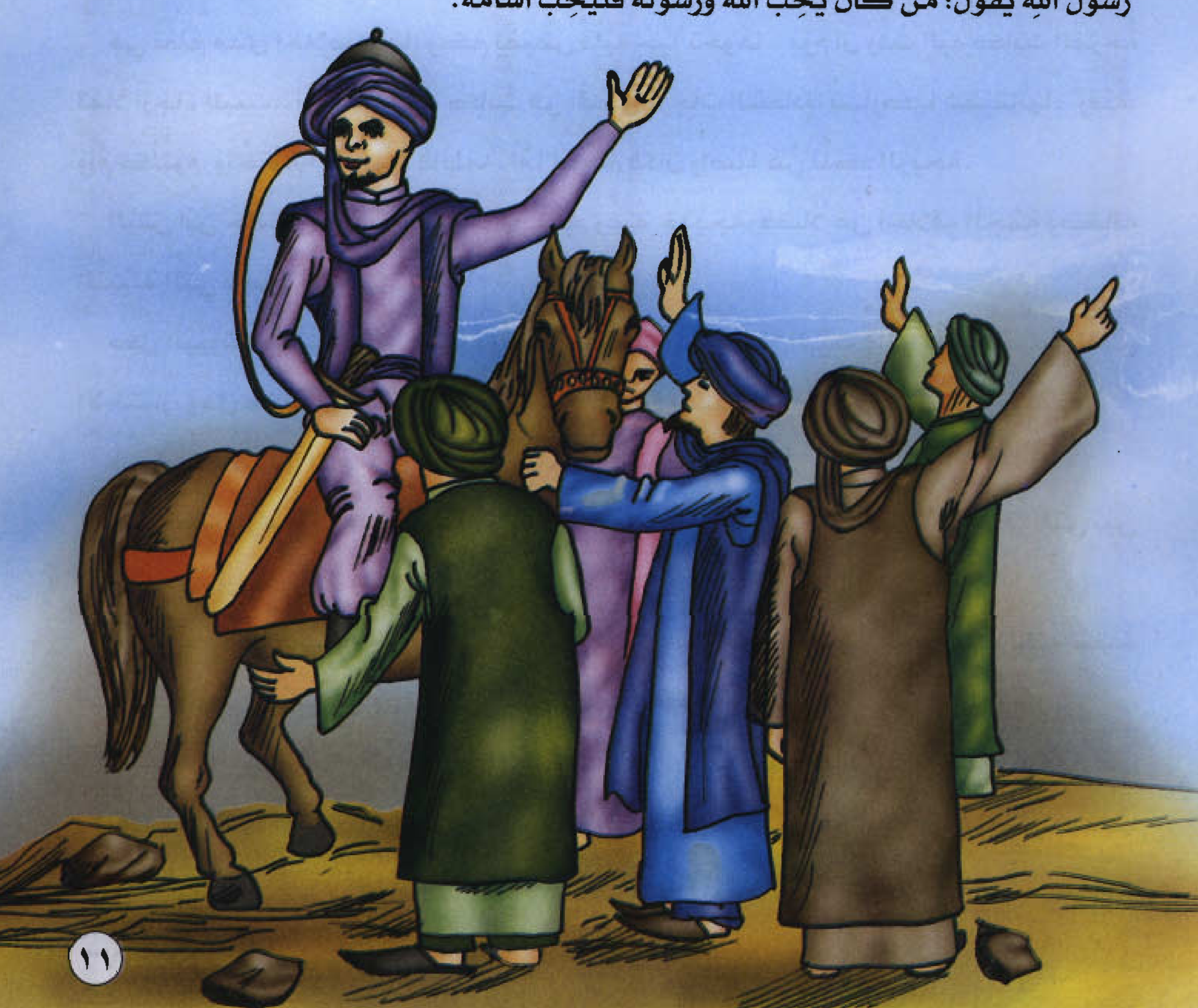
خَرَجَ الجَيْشُ، وَشَقَّ طَرِيْقَهُ فِي جَزِيْرَةِ العَرَبِ، لِتَرَاهُ الأَعْيُنُ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ لِلإِسْلامِ شَوْكَةً، وَأَنَّ هَذِهِ الأَحْدَاثَ الطَّارِئَةَ لا يُمْكِنُ لَهَا أَنْ تَنَالَ مِنْهُ، وَلِكَي يَتَأَكدَ هَؤُلاءِ المُرجِفُونَ وَمَانِعُوالزَّكَاةِ وَغَيْرُهُم بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّ الإِسْلامَ لا يَزَالُ بِخَيْرٍ، وَهَا هُو يَبْقَى مُسْتَمِرًّا فِي الخُرُوْجِ لِلجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ.

والتَقَي الصَّحَابِيُّ الجَلِيْلُ، ذَلِكَ القَائِدُ الصَّغِيْرُ المُحَنَّكُ، بِجَيْشِ الرُّوْمِ، وَقَاتَلُوا قِتَالَ الأُسُودِ، حَتَّى نَصَرَهُمُ اللهُ وَعَادُوا يَدْفَعُوْنَ أَمَامَهُم الغَنَائِمَ، وَفَرْحَةُ الانْتِصَارِ عَلَى وجُوْهِهِمْ.

وَلَقَدْ كَانَ ﷺ ذَا مَكَانَةٍ كَبِيْرَةٍ فِي قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ ، حَيْثُ أَحَبَّهُ وَكَانَ شَدِيْدَ التَّعَلُّقِ بِهِ، كَمَا كَانَ يُحِبُّ وَالِدَهُ وَيَتَعَلَّقُ بِهِ أَيْضًا.

أُمُّهُ السَّيِّدَةُ "بَرَكَةُ" مُرْضِعَةُ النَّبِيِّ، وَحَاضِنَتُهُ، وَالَّذِي كَانَ يُوَقِّرُهَا وَيُبَجِّلُهَا. يَقُوْلُ فِي حَقِّهَا: هِيَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي. إِذْ كَانَتْ جَارِيَةً لِلسَّيِّدَةِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا مَاتَتْ احْتَضَنَتْهُ "بَرَكَةُ "- وَالَّتِي تُعْرَفُ أَيْضًا بِـ "أُمِّ أَيْمَنَ"- وَرَعَتْهُ.

أَمَّا أَبُوهُ فَكَانَ مَوْلَى لِلسَّيِّدَةِ خَدِيْجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، اشْتَرَاهُ حَكِيْمُ بْنُ حزَامٍ مِنَ السُّوْقِ وَأَهْدَاهُ إِلَيْهَا، فَأَهْدَتْهُ هِيَ بِدَوْرِهَا إِلَى زَوْجِهَا الصَّادِقِ الأَمِيْنِ ﷺ وَكَانَ الصَّحَابَةُ جَمِيْعًا يَعْلَمُوْنَ مَدَى شَغَفِ النَّبِيِّ بِهَذَا الصَّحَابِي وَشِدَّةِ حُبِّهِ لَهُ، فَكَانُوا جَمِيْعًا يُحِبُّوْنَهُ لِحُبِّ النَّبِيِّ لَهُ، وَلِحُبِّهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ قَالَتْ: مَا يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُبْغِضَ (أُسَامَةَ) بَعْدَ مَاسَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ يَقُوْلُ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ.



جرو الصحراء
أبو العاص بن الربيع

اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَا النَّبِيِّ ﷺ بِالدُّمُوعِ وَهُو يُمْسِكُ بِالقِلادَةِ وَيَتَأَمَّلُهَا فِي شُجُوْنٍ، هَا هِيَ القِلادَةُ تَتَفَجَّرُ بِالذِّكْرَيَاتِ العَطِرَةِ، وَأَيُّ ذِكْرَيَاتٍ تِلْكَ الَّتِي تَحْمِلُ أَرِيْجَ أَجْمَلِ وَأَرَقِّ إِنْسَانَةٍ عَرَفَهَا فِي حَيَاتِهِ، وَهَلَ مِنْ ذِكْرَيَاتٍ أَطْيَبَ أَو أَرْوَعَ مِنْ خَدِيْجَةَ؟! آمَنَتْ بِهِ بَعْدَ إِذْ كَفَرَ النَّاسُ.. وَصَدَّقَتْهُ إِذْ كَذَّبَهُ النَّاسُ.. وَوَاسَتْهُ بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَهُ النَّاسُ، وَرَزَقَهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْهَا الأَوْلادَ.

كَانَ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّ "القِلادَةَ" تَخُصُّ ابْنَتَهُ "زَيْنَبَ"، وَقَدْ أَرْسَلَتْهَا لِتَفُكَّ بِهَا أَسْرَ زَوْجِهَا.

نَعَمْ، كَانَ زَوْجُهَا عَلَى دِيْنِ قَوْمِهِ، وَرَفَضَ الإِذْعَانَ لِرَغْبَتِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّ اللهَ ابْتَعَثَ أَبِي نَبِيًّا، فَكَانَ يَبْتَسِمُ إِلَيْهَا فِي تَوَدُّدٍ قَائِلاً: لا أَسْتَطِيْعُ أَنْ أُفَارِقَ دِيْنَ آبَائِي وَأَجْدَادِي.

هِيَ تَعْلَمُ مَدَى إِخْلاصِهِ لَهَا، وَكَمْ يَفِيْضُ قَلْبُهُ حُبًّا نَحْوَهَا.. يَوْمَ أَنْ زُفَّتْ إِلَيْهِ كَانَتِ الفَرْحَةُ تَمْلأُ أَرْجَاءَ البَيْتِ.. أُمُّهَا خَدِيْجَةُ كَانَتْ فِي أَقْصَى دَرَجَاتِ السَّعَادَةِ، تُشَارِكُهَا شَقِيْقَاتُهَا: "رُقَيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثُوْمٍ، وَأُخْتُهُمُ الصَّغِيْرَةُ فَاطِمَةُ، أَمَّا أَبُوهُمْ فَكَانَ رَاضِيًا عَنْ تِلْكَ الزِّيْجَةِ.

أَلَيْسَ ابْنَ خَالَتِهَا هَالَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، وَتِلْكَ رَغْبَةُ خَدِيْجَةَ، فَضْلاً عَنْ أَخْلاقِهِ الْجَمَّةِ وَصِفَاتِهِ النَّبِيْلَةِ التِي تَجُوْبُ الآفَاقَ؟

كُلُّ البُيُوتِ كَانَتْ تَتَمَنَّى مُصَاهَرَتَهُ، وَلَمَّا اتَّجَهَ صَوْبَ هَذَا البَيْتِ قَالُوا: لَقَدْ أَحْسَنَ الفَتَى الاخْتِيَارَ، وَهَلْ هُنَاكَ بَيْتٌ أَكْرَمُ مِنْ بَيْتِ مُحَمَّدٍ؟ وَهَلْ هُنَاكَ بَنَاتٌ فِي رَوْعَةِ وَأَخْلاقِ بَنَاتِهِ.

هُنَّ بَنَاتُ الصَّادِقِ الأَمِيْنِ، وَالأُمُّ هِيَ صَاحِبَةُ الشَّرَفِ الرَّفِيْعِ.

وَلَمَّا تَمَّتْ مَرَاسِمُ الزِّفَافِ، تَقَدَّمَتْ خَدِيْجَةُ بِهَدِيَّةٍ إِلَى ابْنَتِهَا، هِيَ تِلْكَ "القِلادَةُ" التِي بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ الآنَ.

هُو يَعْلَمُ أَنَّ زَوْجَ ابْنَتِهِ خَرَجَ إِلَى هَذِهِ الحَرْبِ مُرْغَمًا، كَانَ مُضْطَرًّا لِخَوْضِهَا، لَكِنَّهُ سَقَطَ أَسِيْرًا فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِيْنَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِفِدْيَةٍ كَبَقِيَّةِ الأَسْرَى.

أَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ بِالقِلادَةِ وَرَفَعَهَا لأَعْلَى قَائِلاً: إِنَّ زَيْنَبَ بَعَثَتْ بِهَذَا المَالِ لافْتِدَاءِ زَوْجِهَا، فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيْرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا مَالَهَا فَافْعَلُوا. أَحَسَّ الصَّحَابَةُ بِمَا يَجِيْشُ بِهِ قَلْبُ نَبِيِّهُمْ فَأَسْرَعُوا جَمِيْعًا قَائِلِيْنَ: نَعَمْ، وَنِعْمَةَ عَيْنٍ يَا رَسُوْلَ اللهِ.

وَهَكَذَا انْطَلَقَ الأَسِيْرُ نَحْو مَكَّةَ كَعُصْفُوْرٍ طَارَ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَدْ حَمَّلَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَمَانَةَ أَنْ يُسَيِّرَ إِلَيْهِ ابْنَتَهُ مِنْ غَيْرِ إِبْطَاءٍ، وَقَدْ فَعَلَ.

وَأَقْبَلَتْ مُهْجَةُ قَلْبِهِ بَعْدَ مُعَانَاةٍ قَاسِيَةٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ. جَاءَتْ وَقَلْبُهَا يَتَفَطَّرُ حُزْنًا عَلَى فِرَاقِ زَوْجِهَا، وَأَشَدُّ مَا أَحْزَنَهَا وَمَلأَ قَلْبَهَا بِالآلامِ وَالأَوْجَاعِ، هُوَتَمَسُّكُ زَوْجِهَا بِعِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَالرُّكُوْنُ إِلَى قَومِهِ، فَكَانَتْ تَدْعُو اللهَ مِنْ صَمِيْمِ قَلْبِهَا أَنْ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ.

وَهَلْ تَنْسَى حِيْنَ نَزَلَتِ الرِّسَالَةُ عَلَى أَبِيْهَا، أَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ كُلُّهَا عَلَى مُضَايَقَتِهِ، بَلْ طَلَبُوا مِنْ زَوْجِهَا أَنْ يَقُوْمَ بِتَطْلِيْقِهَا كَمَا فَعَلَ عُتْبَةُ وَعُتَيْبَةُ مَعَ رُقَيَّةَ وَأُمِّ كُلْثُوْمٍ، لَكِنَّهُ أَبَى ذَلِكَ.

قَالُوا وَهُمْ يَجْلِسُوْنَ فِي حِجْرِ الكَعْبَةِ: وَيْحَكُمْ، إِنَّكُمْ قَدْ حَمَلْتُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ هُمُوْمَهُ بِتَزْوِيْجِ فِتْيَانِكُمْ مِنْ بَنَاتِهِ، فَلَو رَدَدْتُمُوْهُنَّ إِلَيْهِ لانْشَغَلَ بِهِنَّ عَنْكُمْ.

لَكِنَّ زَوْجَهَا كَرِيْمَ الأَخْلاقِ صَاحَ قَائِلاً: لا، وَاللهِ إِنِّي لا أُفَارِقُ صَاحِبَتِي، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا نِسَاءَ الدُّنْيَا جَمِيْعَهُمْ.

يَا إِلَهِي.. كَمْ يَمْتَلأُ قَلْبُهَا بِحُبِّهِ وَتَتَمَنَّى أَنْ يَهْدِيَهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لِيُقْبِلَ عَلَى دِيْنِهِ فَيَفُوزَا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

كَانَ "أَبُو العَاصِ بْنِ الرَّبِيْعِ" تَاجِرًا أَمِيْنًا، اشْتُهِرَ بِرِحْلاتِهِ بَيْنَ الشَّامِ وَاليَمَنِ، وَكَانَ السَّادَةُ وَالكُبَرَاءُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُحَمِّلُوْنَهُ بَضَائِعَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ لِيُتَاجِرَ لَهُمْ فِيْهَا، فَيَعُوْدَ مُحَمَّلاً بِالمَكَاسِبِ وَالأَرْبَاحِ.

كَانَ يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ حَتَّى لا يَقَعَ أَسِيْرًا فِي أَيْدِي المُسْلِمِيْنَ، وَلَكِنَّ قَافِلَتَهُ لَمْ تَسْتَطِعْ الإِفْلاتَ هَذِهِ المَرَّةَ، فَوَقَعَتْ جَمِيْعُهَا فِي أَيْدِي المُسْلِمِيْنَ، وَكَانَتْ مُثْقَلَةً بِبَضَائِعَ كَثِيْرَةٍ، أَكْثَرَ مِنَ المَرَّاتِ السَّابِقَةِ.

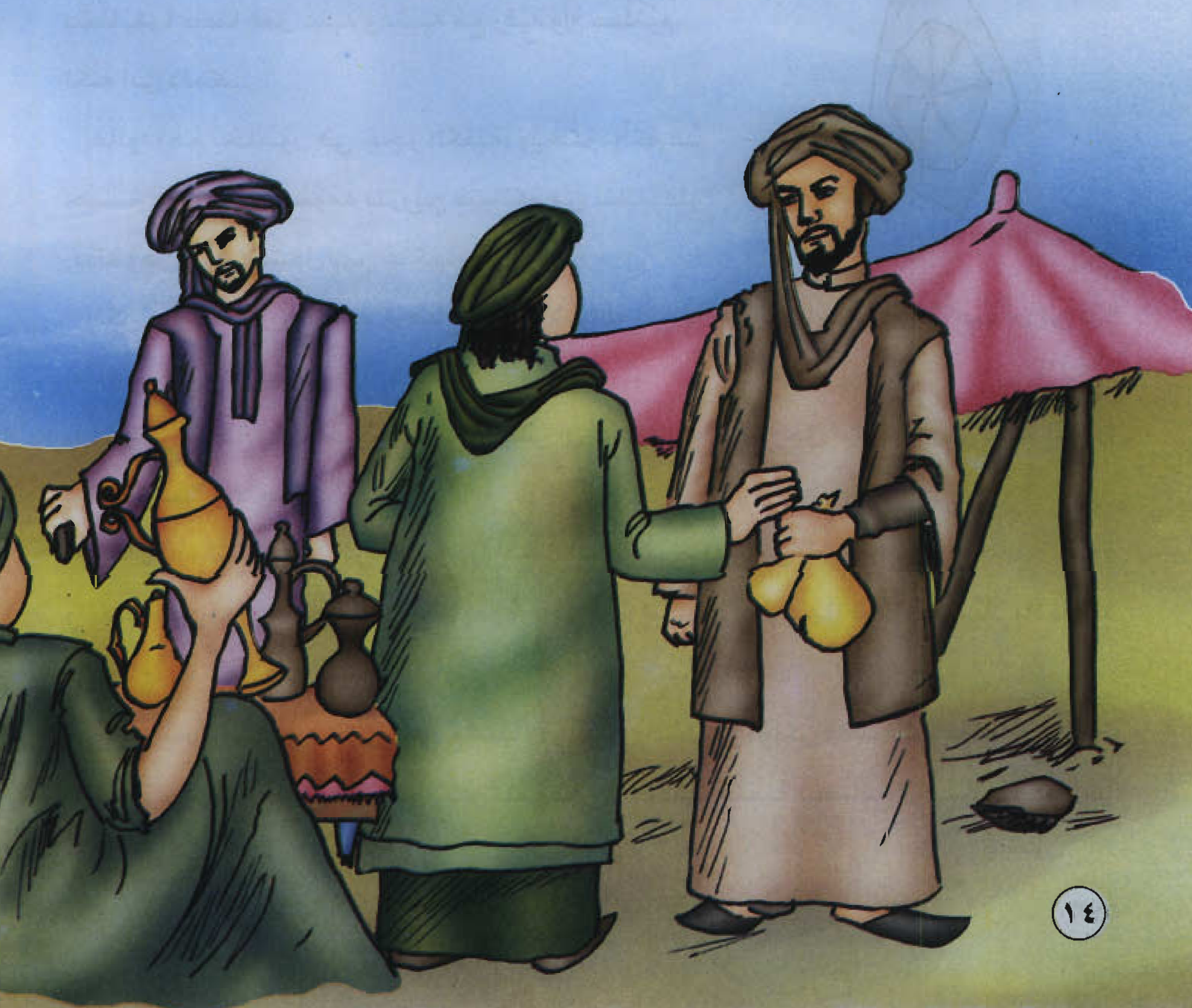
أَمَّا هُو فَقَدْ تَفَلَّتَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَهَرِبَ إِلَى دَاخِلِ المَدِيْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَكَانٌ يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ فِيْهِ إِلا بَيْتَ "زَيْنَبَ" زَوْجَتِهِ، فَطَرَقَ بَابَهَا وَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تُجِيْرَهُ.

اهْتَزَ قَلْبُهَا بِعُنْفٍ وَهِي تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَتَتَأَمَّلُ صُوْرَتَهُ وَهُويَقِفُ أَمَامَهَا كَطَائِرٍ مُبَلَّلٍ بِالمَاءِ فِي يَوْمٍ قَارِسٍ. أَجْلَسَتْهُ، وَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ مَا يُهَدِّئُ رَوْعَهُ، ثُمَّ ذَهَبَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالمَسْجِدِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَهَتَفَتْ قَائِلَةً مِنْ خَلْفِ الصُّفُوْفِ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي أَجَرْتُ أَبَا العَاصِ بْنِ الرَّبِيْعِ!!

فَلَمَّا فَرِغَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ صَلاتِهِ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا عَلِمْتُ بِشَيءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُمْ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ : "إِنَّهُ يُجِيْرُ عَلَى المُسْلِمِيْنَ أَدْنَاهُمْ"، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ، وَقَالَ: " أَيْ بُنَيَّة، أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، وَلا يَخْلُصْ إِلَيْكِ، فَإِنَّكِ لا تَحِلِّيْنَ لَهُ".



ثُمَّ بَعَثَ إِلَى السَّرِيَّةِ الّذِيْنَ أَصَابُوا مَالَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالاً، فَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَرُدُّوا عَلَيْهِ الّذِي لَهُ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، إِنْ أَبَيْتُمْ فَهُوَ فَيْئُ اللهِ الّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ.

فَقَالُوا: يَا رَسُوْلَ اللهِ، بَلْ نَرُدُّهُ عَلَيْهِ، فَرَدُّوْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي بِالدَّلْوِ، وَيَأْتِي الرَّجُلُ بِالشَّنَّةِ وَبِالإِدَاوَةِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَأْتِي بِالحَبْلِ، حَتَّى رَدُّوا عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَسْرِهِ، لا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيئًا، ثُمَّ أَتَى إِلَى مَكَّةَ، فَأَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي مَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَالَهُ.

ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ بَقِيَ لأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ؟

قَالُوا: لا، فَجَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ كَرِيْمًا.

قَالَ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ، وَاللهِ مَا مَنَعَنِي مِنَ الإِسْلامِ إِلا تَخَوُّفَ أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدتُ أَنْ آكُلَ أَمْوَالَكَمْ، فَلَمَّا أَدَّاهَا اللهُ إِلَيْكُمْ، وَفَرغْتُ مِنْهَا، أَسْلَمْتُ.

ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.



الفاتح العظيم
عمرو بن العاص

هُوَ وَاحِدٌ مِنْ أَشْهَرِ فُرْسَانِ العَرَبِ، وَدَاهِيَةٌ مِنْ دُهَاتِهَا المَعْدُودِيْنَ.. اسْتَعَانَتْ بِهِ قُرَيْشٌ قَبْلَ إِسْلامِهِ فَأَرْسَلَتْهُ إِلَى الحَبَشَةِ؛ لِيَأْتِيَ بِهَؤُلاءِ الفَارِّيْنَ بِدِيْنِهِم، وَقَدْ تَفَتَّكَ عَقْلُهُ عَنْ خُطَّةٍ مُحْكَمَةٍ، حَاوَلَ بِهَا أَنْ يُسَيْطِرَ عَلَى قُلُوبِ البَطَارِقَةِ؛ حَتَّى يَكُونُوا عَوْنًا لَهُ أَمَامَ النَّجَاشِيِّ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَى شَيءٍ؛ فَلَمْ يَنْخَدِعِ النَّجَاشِيُّ بِكَلامِهِ، بَلْ جَمَعَ هَؤُلاءِ النَّفَرَ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ، وَرَاحَ يُوجِّهُ إِلَيْهِم أَسْئِلَةً عَدِيْدَةً، اسْتَطَاعَ مِنْ خِلالِ إِجَابَاتِهِم عَلَيْهَا أَنْ يَتَأَكَّدَ أَنَّهُم عَلَى الحَقِّ؛ فَأَمَّنَهُم وَقَالَ لَهُم: أَنْتُم آمِنُونَ فِي أَرْضِي؛ فَعَادَ عَمْرُو بنُ العَاصِ إِلَى مَكَّةَ وَحْدَهُ.

وَقَدْ كَانَتْ لَهُ مَعَ النَّجَاشِيِّ عَلاقَةُ وِدٍّ وَصَدَاقَةٍ، وَكَثِيْرًا مَا كَانَ يَذْهَبُ إِلَيْهِ، يُسَامِرُهُ وَيَتَجَاذَبُ مَعَهُ أَطْرَافَ الحَدِيْثِ. وَقَدْ حَاوَلَ فِي كَثِيْرٍ مِنَ المَرَّاتِ أَنْ يَتَّهِمَ هَؤُلاءِ المُؤْمِنِيْنَ - أَضْيَافَ النَّجَاشِيِّ - فَلَمْ يَتَمَكَّنْ؛ حَتَّى قَالَ لَهُ المَلِكُ يَوْمًا: كَيْفَ يَغْرُبُ عَنْكَ أَمْرُ مُحَمَّدٍ، عَلَى مَا أَعْرِفُهُ مِنْ رَجَاحَةِ عَقْلِكَ وَبُعْدِ نَظَرِكَ؟! فَوَاللهِ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً. فَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ، وَرَفَعَ حَاجِبَيْهِ دَهْشَةً، وَقَالَ: أَأَنْتَ تَقُوْلُ ذَلِكَ أَيُّهَا المَلِكُ؟

قَالَ النَّجَاشِيُّ مُبْتَسِمًا: نَعَمْ وَاللهِ.. فَأَطِعْنِي وَآمِنْ بِمُحَمَّدٍ وَمَا جَاءَكُم بِهِ مِنَ الحَقِّ.



لَمَّا قَرَّرَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ أَنْ يُسْلِمَ، رَكِبَ صَهْوَةَ جَوَادِهِ وَاتَّجَهَ نَحْوَ مَدِيْنَةِ النُّوْرِ، كَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ، سَنَةَ ثَمَانٍ لِلهِجْرَةِ، وَفِي الطَّرِيْقِ، تَقَابَلَ مَعَ رَجُلانِ كَانَا مِنْ خَيْرِ فُرْسَانِ مَكَّةَ وَأَشْجَعِهَا، وَهُمَا: "خَالِدُ بنُ الوَلِيْدِ، وَعُثْمَانُ بنُ طَلْحَةَ"، لَقَدْ دَارَ فِي عَقْلِ كُلٍّ مِنْهُمَا نَفْسُ مَا دَارَ فِي عَقْلِهِ، وَلَمَّا تَيَقَّنَا أَنَّ الإِسْلامَ هُوَ الدِّيْنُ الحَقُّ، قَرَّرَا الذَّهَابَ إِلَى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ، حَيْثُ يُوجَدُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَلَمَّا وَصَلَ الفُرْسَانُ الثَّلاثَةُ، ابْتَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: "أَبْشِرُوا.. لَقَدْ رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلاذِ أَكْبَادِهَا".

امْتَدَّتْ يَدُ خَالِدِ بنِ الوَلِيْدِ لِتُبَايِعَ النَّبِيَّ ﷺ ثُمَّ امْتَدَّتْ يَدُ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ، وَلَمَّا بَسَطَ النَّبِيُّ يَدَهُ الشَّرِيْفَةَ لِتُعَانِقَ يَدَ الفَارِسِ الثَّالِثِ عَمْرِو بنَ العَاصِ، إِذَا بِهِ يَقْبِضُهَا؛ فَتَعَجَّبَ النَّبِيُّ ﷺ وَسَأَلَهُ: لِمَ قَبَضتَ يَدَكَ؟

انْحَدَرَتْ رَأْسُهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ فِي خَجَلٍ: أَشْتَرِطُ!

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : عَلامَ تَشْتَرِطُ؟

قَالَ عَمْرو: أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي!!

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي رِفْقٍ وَلِيْنٍ: "أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الإِسْلامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ، وَأَنَّ الحَجَّ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ؟!".

تَهَلَّلَ وَجْهُ عَمْرو بنُ العَاصِ، وَامْتَدَّتْ يَدُهُ لِتُصَافِحَ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَاهَدَهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَأَحَبَّهُ النَّبِيُّ ﷺ حُبًّا جَمًّا، فَكَانَ يُدْنِيْهِ مِنْهُ، وَيَسْتَرْشِدُ بِرَأْيِهِ، وَيَعْمَلُ بِنَصَائِحِهِ.



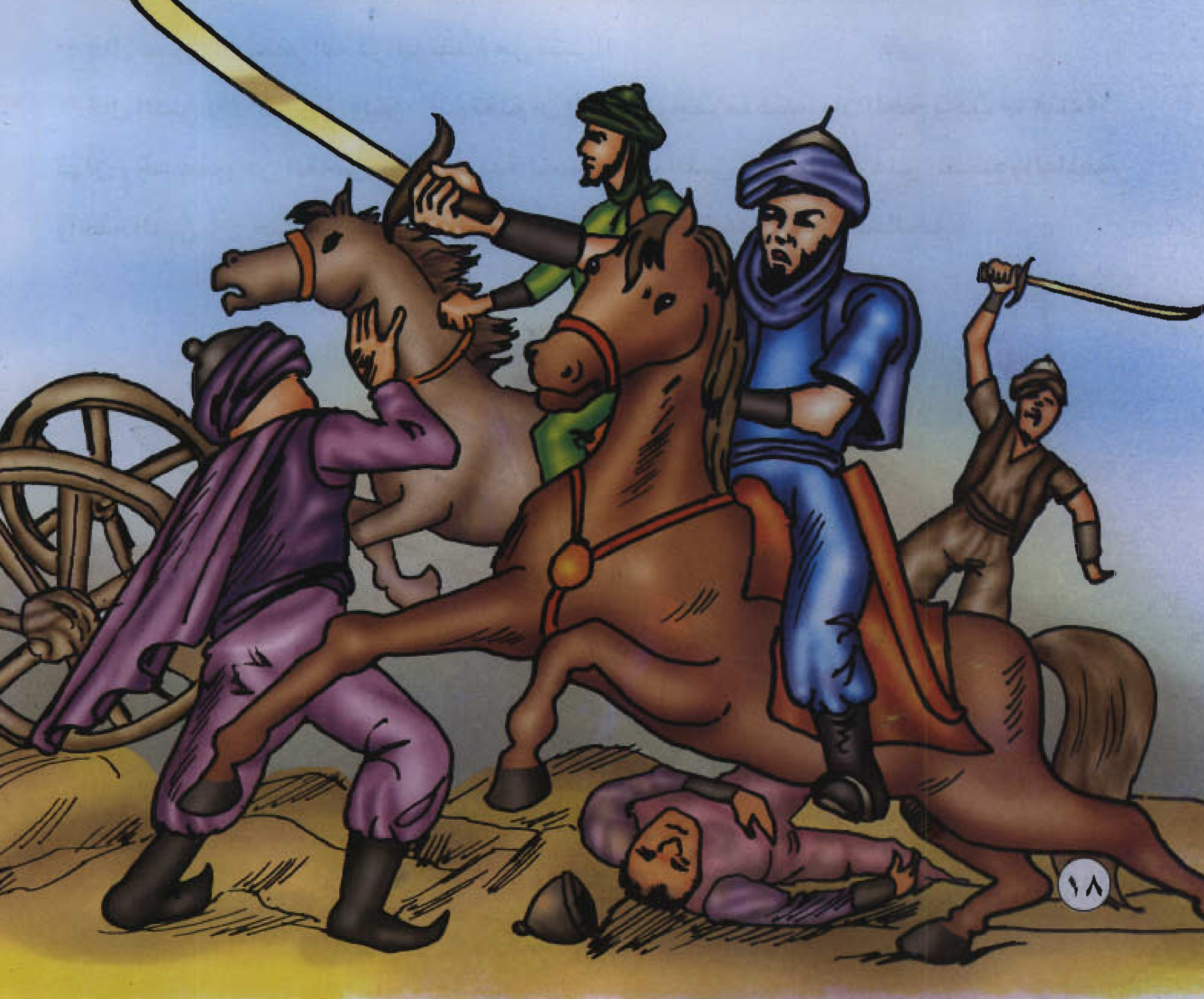
وَلَمَّا وَقَعَتْ مَوْقِعَةُ "ذَاتِ السَّلاسِلِ"، كَانَ عَمْرُو بنُ العَاصِ هُوَ القَائِدَ لِجَيْشِ المُسْلِمِيْنَ بِأَمْرٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَثْبَتَ هَذَا البَطَلُ المِغْوَارُ قُدْرَاتٍ فَذَّةً، مِمَّا جَعَلَهُ فِي مُقَدِّمَةِ الصُّفُوفِ دَائِمًا.

وَفِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه بَعَثَ بِهِ إِلَى هَؤُلاءِ المُرْتَدِّيْنَ، فَأَبْلَى بَلاءً عَظِيْمًا. وَلَمَّا انْتَقَلَ "الصِّدِيقُ" إِلَى جِوَارِ رَبِّهِ، وَآلَتِ الخِلافَةُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَي "عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ" رضي الله عنه كَانَ عَلَى العَهْدِ مَعَهُ، فَقَدْ كَانَ الفَارُوقُ يَعْلَمُ قُدرَاتِ هَذَا الصَّحَابِيِّ؛ فَوَضَعَهُ فِي المَكَانِ اللائِقِ بِهِ.

فَتَحَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ سَوَاحِلَ "فِلَسْطِيْنَ" بَلَدًا بَعْدَ بَلَدٍ، وَهَزَمَ جُيُوشَ الرُّومِ جَيْشًا بَعْدَ جَيْشٍ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى حِصَارِ "بَيْتِ المَقْدِسِ"، وَقَدْ شَدَّدَ البَطَلُ الفَذُّ عَمْرُو بنُ العَاصِ الحِصَارَ عَلَى أَوَّلِ القِبْلَتَيْنِ، وَثَالِثِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، حَتَّى زَرَعَ اليَأسَ فِي نَفْسِ "أَرْطَبُونَ" قَائِدِ جَيْشِ الرُّومِ؛ فَاسْتَسْلَمَتِ القُدْسُ لِلمُسْلِمِيْنَ، وَتَمَّ فَتْحُهَا عَلَى يَدِ الخَلِيْفَةِ العَادِلِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه.

بَعْدَهَا اتَّجَهَ نَحوَ مِصْرَ، كَانَتْ لِمِصْرَ مَكَانَةٌ عَظِيْمَةٌ فِي قَلْبِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنه.

نَعَمْ.. لَقَدْ ذَهَبَ إِلَيْهَا مُنذُ سَنَوَاتٍ طِوَالٍ، حِيْنَ كَانَ فِي رَيْعَانِ الشَّبَابِ..



وَقْتَهَا كَانَ يَبْدَأُ أُوْلَى خُطوَاتِهِ فِي التِّجَارَةِ، وَيَحلُمُ أَنْ يَصِيْرَ أَمِيْرًا مِنْ أُمَرَائِهَا، لَكِنَّ اللهَ قَدَّرَ لَهُ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى "شَمَّاسٍ"، وَتَحْدُث بَيْنَهُمَا صَدَاقَةٌ وَطِيْدَةٌ، فَيَدْعُوهُ إِلَي زِيَارَةِ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

وَفِي تَجوُّلِهِ هُنَاكَ رَأى جَمَالَ وَرَوْعَةِ تِلْكَ البِلادِ، وَمُعَانَاةَ أَهْلِهَا الأَقْبَاطِ عَلَى أَيْدِي الغُزَاةِ الرُّومَانِيِّينَ.. إِنَّهُ يَعْلَمُ تَمَامًا مَدَى البُغْضِ الذِي يَمْلأُ قُلُوبَ المِصْرِيِّيْنَ الأَقْبَاطِ نَحْوَ جُنُودِ الاحْتِلالِ، وَأَنَّ نُفوسَهُم تَطُوقُ إِلَى اليَوْمِ الذِي يَتَخَلَّصُونَ فِيْهِ مِنْ هَذَا القَيْدِ، فَكَانَ ذَلِكَ يَدْفَعُهُ دَوْمًا للاتِّجَاهِ صَوْبَ مِصْرَ.

وَأَمَامَ شِدَّةِ المُقَاوَمَةِ، طَلَبَ المَدَدَ مِنْ أَمِيْرِ المُؤمِنِيْنَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةَ آلافِ جُنْدِيٍّ، وَتَقَدَّمَ المُسْلِمُونَ وَحَاصَرُوا حِصْنَ بَابِلْيُونَ لِمُدَّةِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ، وَتَمَكَّنُوا مِنْ فَتْحِهِ، ثُمَّ اتَّجَهُوا إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، فَوَجَدُوا مُقَاوَمَةً مِنْ حَامِيَتِهَا؛ فَامْتَدَّ حِصَارُهَا إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، وَأَخِيْرًا تَمَّ فَتْحُهَا، وَعُقِدَتْ مُعَاهَدَةُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

وَلَقَدْ كَانَ ﷺ حَرِيْصًا عَلَى أَنْ يُبَاعِدَ أَهْلَ مِصْرَ وَأَقْبَاطَهَا عَنِ المَعْرَكَةِ؛ لِيَظَلَّ القِتَالُ مَحْصُورًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُنُودِ الرُّومَانِ.

تَحدَّثَ مَعَ زُعَمَاءِ النَّصَارَى وَكِبَارِ أَسَاقِفَتِهِمْ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالحَقِّ وَأَمَرَهُ بِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَدَّى رِسَالَتَهُ، وَمَضَى بَعْدَ أَنْ تَرَكَنَا عَلَى الوَاضِحَةِ. وَكَانَ مِمَّا أَمَرَنَا بِهِ الإِعْذَارُ إِلَى النَّاسِ، فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ إِلَى الإِسْلامِ، فَمَنْ أَجَابَنَا فَهُوَ مِنَّا، لَهُ مَا لنَا، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا.. وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا أَنَّ مِصْرَ سَتُفْتَحُ عَلَيْنَا، وَأَوْصَانَا بِأَهْلِهَا خَيْرًا. إِنْ أَجَبْتُمُوْنَا إِلَى مَا نَدْعُوكُم إِلَيْهِ كَانَتْ لَكُمْ ذِمَّةٌ إِلَى ذِمَّةٍ.

لَقَدِ اسْتَطَاعَ بِالفِعْلِ أَنْ يُحَقِّقَ حُلْمَهُ القَدِيْمَ، وحُلْمَ هَؤلاءِ المِصْرِيِّيْنَ بِفَتْحِ تِلْكَ البِلادِ الغَالِيَةِ، وَانْقَاذِهَا مِنْ نِيْرَانِ الرُّوْمَانِ، فَاعْتَنَقَ أَغْلَبُهُم الدِّيْنَ الإِسْلامِيَّ، حَتَّي صَارَتْ مِنْ أَهَمِّ الدُّوَلِ الإِسْلامِيَّةِ فِي العَالَمِ، وَكَانَ ذَلِكَ كُلُّه فِي مِيْزَانِ حَسَنَاتِ هَذَا البَطَلِ وَالفَاتِحِ العَظِيْمِ، عَمْرو ابنِ العَاصِ رضي الله عنه.



اخْتَلَفَ الجَيْشُ حَوْلَ مَنِ الذِي يَحْمِلُ اللّواءَ وَيَقُودُ المَعْرَكَةَ؛ فَعَدَدُهُم قَلِيْلٌ.. ثَلاثَةُ آلافٍ فِي مُوَاجَهَةِ جَيْشٍ عَرَمْرَمٍ، قِوَامُهُ مِائَةُ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ يُشَارِكُهُم مِائَةُ أَلْفٍ آخَرُونَ مِنْ قَبَائِلِ العَرَبِ. لَوْ أَحَسُّوا بِأَنَّ المُسْلِمُونَ يَفْتَقِدُونَ إِلَى قَائِدٍ مُحَنَّكٍ حَكِيْمٍ يَقُودُ المَعْرَكَةَ، رُبَّمَا أَخَذَهُم الطَّمَعُ فِي مُهَاجَمَتِهِم وَالقَضَاءِ عَلَيْهِمْ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ بِالمَدِيْنَةِ، وَقَدْ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ مَا يَحْدُثُ فِي سَاحَةِ القِتَالِ، فَكَأَنَّمَا يَرَاهَا رَأي عَيْنٍ، فَكَانَ يَسْرِدُ عَلَي أَصْحَابِهِ وَقَائِعَهَا حَيَّةً سَاخِنَةً..

سَقَطَ عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ - آخِرُ الثَّلاثَةِ المُكَلَّفِيْنَ بِحَمْلِ الرَّايَةِ - لِيَتَلَقَّاهَا خَالِدُ بنُ الوَلِيْدِ فَجْأَةً دُوْنَ سَابِقِ اسْتِعْدَادٍ، فَتَحَوَّلَ مِنْ صُفوفِ الجُنُودِ إِلَى قِيَادَةِ الجَيْشِ.

إِنَّهَا أَوَّلُ مَعْرَكَةٍ يُشَارِكُ فِيْهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ.

يَا اللهُ! لَقَدْ كَانَ يَقِفُ فِي جَبْهَةِ الشِّرْكِ مُنْذُ وَقْتٍ قَلِيلٍ، حَامِلاً سَيْفَهُ فِي وُجُوهِ المُسْلِمِيْنَ.

نَعَمْ.. كَانَ فَارِسًا مَاهِرًا، يَمْلِكُ الذَّكَاءَ وَالفِطْنَةَ قَبْلَ الإِسْلامِ، بَيْدَ أَنَّ عَظَمَتَهُ وَعَبْقَرِيَّتَهُ الحَقِيْقِيَّةَ لَمْ تَظْهَرْ إِلا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَحَقَّقَتْ فِيْهِ تِلْكَ النُّبُوْءَةُ: حَمَلَ الرَّايَةَ الآنَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ.

وَقَدْ أَشْرَقَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ بِالفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَهُو يَسْتَكْمِلُ مَعَهُم وَقَائِعَ مُؤْتَةَ.

أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الَّذِي تَسَبَّبَ فِي هَزِيْمَةِ المُسْلِمِيْنَ بَعْدَ أَنْ غَمَرَتْهُم فَرْحَةُ النَّصْرِ بِأُحُدٍ؟ أَلَمْ يَتَسَبَّبْ فِي مَقْتَلِ عَدَدٍ كَبِيْرٍ مِنْ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ؟

نَعَمْ هُوَ!

لَقَدِ اسْتَخْدَمَ فَرَاسَتَهُ العَسْكَرِيَّةَ، وَانْتَظَرَ حَتَّى وَاتَتْهُ الفُرْصَةُ فَأَجْهَزَ عَلَى جَيْشِ المُسْلِمِيْنَ مِنَ المُقَدِّمَةِ، فِي اللحْظَةِ التِي أَشَارَ فِيْهَا إِلَى عِكْرِمَةَ بنِ أَبِي جَهْلٍ، وَصَفْوَانَ بنِ أُمَيَّةَ؛ لِيُطَوِّقُوا المُسْلِمِيْنَ مِنَ النَّاحِيَةِ الأُخْرَى.

هُوَ أَحَدُ فُرْسَانِ بَنِي مَخْزُومٍ.. وَالِدُهُ مِنْ سَادَاتِ مَكَّةَ، يَمْلِكُ الثَّرَاءَ وَالجَاهَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدِ اسْتَعْلَى بِمَالِهِ الفَاحِشِ وَأَوْلادِهِ الكُثُرِ.. رَفَضَ الدُّخُولَ فِي دِيْنِ اللهِ، وَلَمَّا سَمِعَ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ اهْتَزَّ فُؤَادُهُ، وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ، وَكَادَ يَرْكَنُ إِلَى الإِسْلامِ، وَقَالَ قَوْلَتَهُ المَشْهُورَةَ، وَالتِي مَا تَزَالُ تَتَرَدَّدُ أَبَدَ الدَّهْرِ: "وَاللهِ إِنَّ لَهُ لَحَلاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً، وَإِنَّ أَعْلاهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلا يُعْلَى عَلَيْهِ".

لَكِنَّ أَبَا جَهْلٍ وَأَعْوَانَهُ التَفُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَرَاحُوا يَنْفُثُونَ فِي أُذُنَيْهِ بِكَلامٍ مَسْمُومٍ، حَتَّى وَقَعَ أَسِيْرًا لِكَلامِهِمْ.

أَسَحَرَكَ مُحَمَّدٌ، أَيُّهَا العَاقِلُ الرَّشِيْدُ؟!

هُنَالِكَ تَذَكَّرَ مَكَانَتَهُ بَيْنَ العَرَبِ.

قَالُوا لَهُ: لِمَاذَا لا تَكُونُ أَنْتَ ذَلِكَ النَّبِيَّ؟! عِنْدَكَ المَالُ وَالوَلَدُ، وَتَمْلِكُ مَالا يَمْلِكُهُ مُحَمَّدٌ! لِمَاذَا هَذَا اليَتِيْمُ المَعْدُومُ، الأُمِّيُّ الذِي لا يَقْرَأُ وَلا يَكْتُبُ؟! أَعَجَزَ رَبُّهُ أَنْ يَخْتَارَ مِثْلَكَ؟!

حَدَّقَ فِي وجُوهِهِمْ، وَبَعْدَ فَتْرَةِ صَمْتٍ طَوِيْلَةٍ، قَالَ بِصَوْتٍ غَرِيْبٍ: نَعَمْ، لِمَاذَا اخْتَارَهُ هُوَ وَأَنَا رَجُلٌ عَظِيْمٌ، لِي شَأْنٌ بَيْنَ سَادَةِ مَكَّةَ وَأَشْرَافِهَا؟!

هَكَذَا نَشَأَ "خَالِدُ بنُ الوَلِيْدُ" فِي هَذِهِ البِيئَةِ المُبْغِضَةِ للنَّبِيِّ ﷺ وَلِرِسَالَتِهِ، فَتَشَرَّبَ قَلْبُهُ الصَّغِيْرُ هَذَا البُغْضَ القَاتِمَ، فَكَبِرَ وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ، يَتَحَيَّنُ الفُرْصَةَ للقَضَاءِ عَلَى هَذَا الدِّيْنِ.

تَدَرَّبَ عَلَى فُنُونِ القِتَالِ كَعَادَةِ أَبْنَاءِ القَبِيْلَةِ.. وَاصَلَ اللَّيْلَ بِالنَّهَارِ عَلَى ظُهُورِ الخَيْلِ.. صَارَعَ الشُّجْعَانَ فَهَشَّمَ عِظَامَهُم.. قَاتَلَ الفُرْسَانَ.. تَرَكَ نَعِيْمَ وَالِدِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَعَانَقَ فِي اشْتِيَاقٍ هَجِيْرَ الصَّحْرَاءِ، وَنَهَلَ مِنْ قَسْوَتِهَا وَجَفَائِهَا، وَتَشَرَّبَ خُشُونَتَهَا وَصَلابَتَهَا، حَتَّى صَارَ فَارِسَ الفُرْسَانِ فِي مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا.

وَقَدْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ جَسَدُهُ العِمْلاقُ، فَضْلاً عَنْ ذَكَائِهِ الحَادِّ، وَعِشْقِهِ الشَّدِيْدِ لِخَوْضِ المَعَارِكِ.

وَلَمَّا اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عَلَى حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَدْرٍ، وَكَسْرِ بَيْضَةِ الإِسْلامِ، كَانَ هُوَ حَامِي حِمَى القَبِيْلَةِ، وَالحَارِسَ وَالمُدَافِعَ عَنِ النِّسَاءِ وَالغِلْمَانِ وَالشُّيُوخِ، حَتَّى عَادُوا مِنْ بَدْرٍ مُنْكَسِرِيْنَ، وَقَدْ نَكَّسُوا رُؤوسَهُم وَهُمْ يُجَرْجِرُونَ أَذْيَالَ العَارِ وَالهَزِيْمَةِ، فَأَسَرَّهَا فِي نَفْسِهِ، وَأَقْسَمَ بِالآلِهَةِ أَنَّ أَوَّلَ لِقَاءٍ سَوْفَ يَتِمُّ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَمُحَمَّدٍ لأَفْعَلَنَّ بِهِمُ الأَفَاعِيْلَ.



وَقَدْ حَدَثَ، فَكَانَ قَائِدَ جَنَاحِ الفُرْسَانِ، وَاسْتَطَاعَ بِمَهَارَتِهِ وَدَهَائِهِ العَسْكَرِيِّ أَنْ يُلْحِقَ بِالمُسْلِمِيْنَ هَزِيْمَةً مُنْكَرَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ لَهُمُ الغَلَبَةُ وَالنَّصْرُ.

هَا هُوَ الفَتَى المَخْزُومِيُّ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ، وَصَارَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ بَعْدَ مُعَانَاةٍ نَفْسِيَّةٍ شَدِيْدَةٍ رَاحَ يُفَكِّرُ.. مَا الإِسْلامُ؟ إِنَّهُ يَدْعُو إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَيَنْهَى عَنْ كُلِّ صُنُوفِ الشَّرِّ.

هَا هُوَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُ إِلَى دِيْنِ اللهِ، وَكَانَتْ عَنْ طَرِيْقِ أَخِيْهِ الذِي أَسْلَمَ، قَالَ لَهُ: إِنِّي لَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذهَابِ رَأْيِكَ عَنِ الإِسْلامِ.. وَعَقْلَكَ عَقْلَكَ، وَمِثْلُ الإِسْلامِ يَجْهَلُهُ أَحَدٌ يَا خَالِدٌ؟

سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَيْنَ خَالِدٌ؟ قُلْتُ: يَأْتِ اللهُ بِهِ. فَقَالَ: مَا مِثْلُ خَالِدٍ يَجْهَلُ الإِسْلامَ، وَلَو كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ وَحْدَهُ مَعَ المُسْلِمِيْنَ عَلَى المُشْرِكِيْنَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ، فَاسْتَدْرِكْ يَا أَخِي مَا فَاتَكَ مِنْهُ، فَقَدْ فَاتَتْكَ مَوَاطِنُ صَالِحَةٌ.

أَسْلَمَ رضي الله عنه ، وَهَا هُوَ يَحْمِلُ السَّيْفَ وَيَخُوضُ المَعَارِكَ، بَيْدَ أَنَّ عَبْقَرِيَّتَهُ الفَذَّةَ، وَقُدْرَاتِهِ العَسْكَرِيَّةَ الرَّائِعَةَ إِلَى حَدِّ الدَّهْشَةِ وَالإِعْجَابِ، لَمْ تَتَجَلَّ إِلا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ .

لَقَدْ مَنَحَهُ النَّبِيُّ ﷺ لَقَبَ "سَيْفِ اللهِ"، وَلَمْ تَكُنْ مَهَارَاتُهُ قَدْ تَبَلْوَرَتْ بَعْدُ، لَكِنَّهَا النّبُوَّةُ الصَّادِقَةُ.

يَقُولُ خَالِدُ بنُ الوَلِيْدِ رضي الله عنه وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ المَوْتِ: "شَهِدتُ جَمِيْعَ المَوَاقِعِ، وَقَاتَلْتُ مِائَةَ حَرْبٍ، وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعٌ إِلا وَفِيهِ ضَرْبَةُ سَيْفٍ، أَوْ طَعْنَةُ رُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةُ سَهْمٍ، ثُمّ هَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتْفَ أَنْفِي كَمَا يَمُوتُ البَعِيْرُ، فَلا نَامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاءُ".

اختبر معلوماتك

- ما هى أول معركة شارك فيها خالد بن الوليد بعد أن من الله عليه بالإسلام:

بدر .. الخندق .. مؤتة

* * *

- أسامة بن زيد قاد جيش المسلمين وهو بعد لايزال صغيرا .. فى أى زمن خرج هذا الجيش..؟

فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم؟
فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه؟
فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه؟

* * *

- ضع علامة (صح) أمام الإجابة الصحيحة. وعلامة (خطأ) أمام الإجابة الخاطئة:

عثمان بن عفان كان زوجا للسيدة زينب بنت رسول الله ( )
خالد بن الوليد هو داهية العرب ( )
عمرو بن العاص فاتح مصر ( )
أسامة بن زيد كان يلقب بالحب بن الحب ( )
صهيب الرومى كان من أصل رومي ( )

* * *